الشيعة في العالم العربي

□ الدكتور عبد المنعم حسن

قليلة هي الكتب التي تتناول التشيع بالدراسة والتحليل الموضوعي وأقل منها تلك التي تعالج التشيع في العالم العربي. ولعل انتصار الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩ كان حافزاً للمزيد من الدراسات الجادة عن التشيع وعن الاداء الشيعي اجتماعياً وسياسياً. لكن أغلب هذه الدراسات التي صدرت بلغات عالمية تكاد لا تميز بين التشيع وبين ايران وصار الامر بمثابة التلازم بين شيئين يصعب الفصل بينهما. لكن تطور الاوضاع السياسية وتصاعد حركة الاحتجاج الاجتماعي في العراق ولبنان ودول الخليج نبه الباحثين وخاصة في البلدان الغربية المهتمة بمنطقة الشرق الاوسط، الى حقيقة الشيعة العرب ودورهم الحالي والمستقبلي. وبسبب ذلك صدرت في السنوات الاخيرة كتب مهمة تتناول شيعة العراق ولبنان ودول الخليج.

كان هذا الكتاب من اهم هذه الكتب واكثرها تبصراً باوضاع الشيعة واحدثها اصداراً. فقد صدر هذا العام ونال اهتماماً واسعاً من الباحثين ومن الشيعة انفسهم، وجاء بعد مخاض طويل وبعد جولة شاقة من اللقاءات في عدة بلدان عربية واوروبية وامريكية تم فيها محاورة ما يربو على المئتي شخص من ذوي الاهتمام من الشيعة وغيرهم من الناشطين في المجال السياسي او الاجتماعي او الديني ومن ذوي الاختصاصات المتنوعة والمواقع المختلفة والاتجاهات المتباينة. فجاء الكتاب خلاصة أمينة ودقيقة لطروحات من تمّ لقاؤهم.

واعتمد الباحثان في تحليلاتهما القيمة على ما سمعاه من آهات وافكار ونظرات وما

رأياه من احوال وما راقباه من اوضاع سياسية متقلبة وغير مستقرة وما تصوراه من توجهات أعتقد انها تفيد الشيعة والسنة على السواء، وتفيد في استقرار المنطقة المليئة بالتقلبات والحبلى بالمفاجآت والاحداث الجسام. ويعتقدان ان استقرار المنطقة النابع من انصاف اهلها وخاصة اقلياتها، سيعود بالفائدة على بلدان هذه المنطقة وسيساهم مساهمة جادة وحقيقية في توفير الاستقرار الذي ستعم فائدته الجميع. وضم الكتاب احد عشر فصلاً بعد المقدمة التي بيّنت الاسباب التي دعت المؤلفين إلى تأليف هذا الكتاب.

ان صورة الشيعة عموماً قد شوهت في الغرب وانطبعت في أذهانهم ان التشيع لا يعني سوى "سياسة العنف والتعصب ومفجري القنابل الانتحاريين". ولكن الغرب لا يدرك أن الذي دفع الشيعة - والاقلية القليلة منهم التي استعملت العنف - هو سياسة العنف الذي تمارسه الحكومات لاضطهادهم. ولا يدرك الغرب مدى المعاناة والاسى الذي لحق بالشيعة والذي دفعهم لاعمال "الارهاب وعمليات الحرب الفدائية التي شهدها العالم خلال العقدين الماضيين.

وذكّر الكتاب بأهمية الشيعة استراتيجيا باعتبارهم يتواجدون في المناطق التي تكثر فيها المخزونات النفطية، وان ما يربو على ١٤ مليون شيعي عربي يتركزون في المناطق النفطية المهمة، وهم يعانون من الاضطهاد المستمر. ورغم وعي الحكومات العربية المعنية بوجود الشيعة ومعاناتهم، الا انها - تواصل بدرجة واخرى اهمال وجودهم وانكار حقوقهم بل وتعتبرهم دائماً من الدرجة الثانية او ادنى من ذلك. وهذا الموقف يخلق التوترات المتواصلة ويكون مصدراً لانعدام الاستقرار في المنطقة. لذا يتوصل الباحثان الى ان الاسلام كدين عانى من قلة الفهم له في الغرب، ويقع "الاسلام الشيعي" في اقصى مراتب النظرة السلبية أزاء الاسلام من قبل الغرب.

ويرى المؤلفان ان المشكلة لا تقتصر على النظرة السلبية الغربية للتشيع وانما تتعدى ذلك الى داخل الاسلام، فقد تصاعد التوتر بين السنة والشيعة بدرجة كبيرة خلال العقود الاخيرة بدرجة لم تشهدها العلاقات السنية - الشيعية خلال عدة قرون مضت. وربما تعود معظم هذه التوترات الى طبيعة العملية السياسية القائمة في البلاد العربية ومنها الدول الخليجية على وجه الخصوص حسب ما يراه المؤلفان.

المقدمة

في المقدمة يؤكد الكتاب على اشياء منها انهما يدرسان فقط الشيعة الاثني عشرية «الذين يتبعون اثنى عشر اماماً معصوماً بدءاً من الامام علي بن ابي طالب (ع) وانتهاء بالامام القائم المنتظر محمد بن الحسن العسكري (ع)»، رغم ان الشيعة الزيدية (يؤمنون بامامة زيد بن علي بن الحسين (ع) والاسماعيلية (يؤمنون بامامة اسماعيل بن الامام جعفر الصادق (ع) ويتواجدون في العالم العربي. والمؤلفان اختارا ست مناطق تتواجد فيها نسبة شيعية عالية، اما بأغلبية سكانية او اقلية سكانية كبيرة. لذا اهملت بعض البلدان مثل الامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان من الدراسة لوجود اقلية شيعية صغيرة نسبياً ولعدم توفر الامكانات المادية التي تساعد الباحثين على تغطية هاتين الدولتين وغيرهما.

يطرح الكتاب مجموعة من الاسئلة المهمة في محاولة للاجابة عليها من خلال معاينة المشكلة والتحاور مع عدد كبير من المعنيين بها، ومنها:

من هم الشيعة وماذا يريدون؟ وما طبيعة دورهم في المجتمع الشرق اوسطي وسياساته؟ ما هي طبيعة "المشكلة الشيعية" من وجهة النظر السنية العامة والحكومية؟ كيف تؤثر ديناميات سياسة الحكومة ومواقف الشيعة منها، على التطورات الداخلية والاقليمية؟ ما هي الاستراتيجيات - ان وجدت - التي تتكون متبناة من الشيعة والدولة للتعامل مع قضية الشيعة؟ ما الذي ينبغي على الحكومات الغربية ان تفكر فيه تجاه الشيعة في ضوء السياسات المستقبلية للمنطقة (الشرق الاوسط - او العربية) وخصوصاً ما يتعلق بالعملية الديمقراطية؟ هذه الاسئلة المهمة يحاول الباحثان الاجابة عليها. ورغم تأكيدهما على ان موضوع الشيعة قد دُرس من قبل العديد من المهتمين إلاّ انهما يريان ان دراسة أوضاع الشيعة كعامل مؤثر في السياسات الغربية تجاه العالم العربي او سياسات الحكومات الشرق اوسطية لم تحظ بالعناية اللازمة من قبل مراكز الابحاث المنتشرة في العالم، ولقد التزم الباحثان في التصدي لهذا الموضوع (تأثير الشيعة على القرار السياسي لدى الغرب والعرب) وأشبعاه دراسة وتحليلاً.

هذا من ناحية ومن الناحية الثانية يعتني الكتاب بدراسة العالم العربي، ومن هذا المنطلق فإنه يرى ان المسألة الشيعية او الخلاف السني - الشيعي ليس هو المشكلة الوحيدة التي تواجه البلدان العربية المتضمنة في هذه الدراسة بل هناك مشاكل كثيرة وكبيرة تواجه العالم العربي، اهمها مشكلة المشاركة السياسية ومشكلة الديمقراطية وقضية رسم هوية

وطنية تضم جميع فئات الشعب. وليس استمرار القضية الشيعية الاّ مظهراً من مظاهر عدم توفر المشاركة السياسية وانعدام الديمقراطية وعدم بروز هوية وطنية شاملة.

يذكر الكاتبان اسباباً دفعتهما لتأليف مثل هذا الكتاب منها: معارضة العديد من السنة لطرح مثل هذا الموضوع لانه شديد الحساسية، ولانه قد يفتح جروحاً، ويساهم في تدهور أوضاع المجتمعات التي يتواجد فيها الشيعة الى جوار السنة كما ان بعض السنة لا يعترف بوجود مشكلة من هذا القبيل على الاطلاق.

ومنها ان حكومات الشرق الاوسط التي تنظر الى مواطنيها الشيعة او الشيعة في العالم العربي نظرة قصيرة المدى، لا ترغب بدراسة وعرض قضايا الشيعة ونشرها وخاصة للعالم الغربي ومنها ان بعض الناس ينظر الى مثل هذه المحاولة كأسلوب من اساليب التفرقة بين المسلمين، وانها استمرار للاستشراق الذي يحاول كشف عورات المسلمين واظهارهم بانهم مجتمع ممزق ومتعصب وسهل الاختراق وضعيف. وعليه فانهم لا يفضلون نشر غسيل المآسي الاجتماعية في العالم العربي لان السكوت والتعتيم عليها هو السياسة الفضلى، وعليه فان هدف هذا الكتاب - حسب وجهة نظر كاتبيه - هو تشجيع مواطني وواضعي السياسة الغربيين والشرق اوسطيين للتفكير عميقاً بالقضية الشيعية ولتكون العقول اكثر تفتحا في محاولة لحلها. ولانهما يعتقدان بان تحقيق مجتمع قوي ومستقر لا يتم الاّ من خلال دعم الاحساس لدى المواطنين بانتمائهم الى دولتهم وثقتهم انها القادرة على توفير الرخاء المطلوب. ولا يتم هذا الاّ من خلال مواجهة الحقائق وان كانت مرّة كلها بالتعاون مع جميع الاطراف المعنية.

بالنسبة للسياسة الامريكية فانها لازالت اسيرة النظرة الضيقة والقاصرة تجاه المنطقة وتجاه شعوبها. ولقد عاش مؤلف الكتاب (كراهم فولر) ٢٥ سنة من عمره وهو قريب من مصادر صنع القرار لما يتعلق بالشرق الاوسط، ولاحظ بأم عينيه مدى القصور في هذه السياسة التي اعتمدت بعض الحكام طريقاً لتحقيق مصالحها، دون ان تلتفت الى الشعوب المقهورة وطموحاتها الانسانية وان هذه المصلحة لا يمكن ان تتحقق بالصورة الحقيقية الاّ اذا انسجمت مع مصالح الشعوب. فالسياسة التي تعتمد على شيئين بعيدين عن مصالح الشعوب العربية لا يمكن ان تحقق مكاسب مهمة على المدى البعيد. هذان الشيئان هما: اولاً مصالح اسرائيل التي تعمل واشنطن على تحقيق ما أوتيت من قوة وسلطة.

ثانياً: الاستحواذ على النفط وهما شيئان لا يمكن ان تتم خدمة مصالح شعوب

المنطقة من خلالهما ولا حتى خدمة مصالح امريكا على المدى الابعد.

الهوية الشيعية

"الهوية الشيعية" هو موضوع الفصل الاول من الكتاب، حيث نلاحظ فيه تحليلاً دقيقاً لوضع الشيعة. فالهوية يمكن ان تحدد وفق الحدود الدولية لكل دولة في العالم، او وفق اللغة، او الثقافة او الدين، وحتى وفق المذهب في العديد من دول العالم. لكن الهوية الشيعية تعاني من كونها تمثل حالة الاقلية في بحر من الاكثرية السنية، وهذه الحالة تنطبق على الاقلية العددية الشيعية في العديد من الدول العربية او حتى على الاكثرية العددية الشيعية كما في العراق والبحرين. فالشيعة في هذين البلدين يعانون من عقدة "الاقلية".

وحسب الكتاب فليست المشكلة هي مشكلة أقلية مقابل اكثرية بل الامر يبلغ مداه المعقد جداً اذا اخذنا الموضوع الشيعي بالاعتبار. ففي البلاد العربية يمكن للاقلية الدينية (المسيحية مثلاً) الاعلان عن مصالحها ونفسها ولا تحتاج الى ان تغرس رأسها في الرمال، وكذلك الاقليات الاثنية كالكرد مثلاً فإنهم يستطيعون الاعلان عن مطالبهم دون وجل او تخوف، وبامكان المسيحي او الكردي التمتع ببعض الحقوق وفقاً لدينه او لغته. اما الشيعي فإنه لا يستطيع التعبير عن هويته المذهبية في جو لا يسمح بذلك، ويشعر بحساسية فائقة تجاه الموضوع. والسلطات القائمة لا تسمح بالموضوع وتنظر له وتربي عليه وبهذا فالمجتمع يستسيغ من المسيحي أو حتى الزرادشتي ان يطالب بأمور تتعلق بهويته الدينية، ولا يرى غضاضة من مطالبة الكردي بتحقيق هويته الكردية في البلاد التي يعيش فيها، لكنها ترى ان الشيعي ممنوع من التعبير عن هويته رغم انه بات اكبر الضحايا بسبب هذه الهوية.

اذا كان هذا هو التعامل مع الشيعة في بلادهم فان نظرة الغرب "الانطباعية" وغير "التحليلية" - حسب الكتاب - الى الشيعة وكأنهم متعصبون وعدوانيون زادت من المشكلة وتجاوزت على الحقيقة وتأثرت بحوادث عابرة لا تعبر عن طبيعة المجتمعات الشيعية في البلاد العربية. وهي بهذا تمثل نظرة انفصالية لم تعتمد البحث عن الواقع والاسباب المحركة للمجتمع في بعض اللحظات التاريخية الحاسمة.

يعتقد مؤلفا الكتاب ان هناك عوامل داخلية واخرى خارجية ساهمت في بروز الهوية الشيعية وان هناك عوامل عامة دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية ميزت الصفات

والممارسة الشيعية. يشترك الشيعة مع السنة في المعتقدات الاسلامية الرئيسية كالتوحيد والنبوة والمعاد، وان القرآن الكريم والسنة المشرفة هما مصدرا التشريع ولكنه توجد اختلافات في تفسير العديد من القضايا. فالشيعة يؤمنون بان النبي (ص) أوصى من بعده للامام علي بن ابي طالب (ع) ومنه الى الحسن والحسين وبعدهما لتسعة ائمة من ذرية الامام الحسين (ع) آخرهم الامام الغائب الحجة بن الحسن (عج). ويرى الكتاب اهتمام الشيعة بذكرى استشهاد الامام الحسين (ع) في العاشر من محرم عام ٦١ للهجرة باعتباره احد معالم الحزن. وان الشيعة حولوا معتقداتهم الى قوة روحية وثقافية للدين. ويعتقد الكتاب ان "المرجعية" هي أحد أهم معالم الهوية الشيعية وهي تعني ان الشيعة يرجعون في أمور دينهم الى المرجع وهو الفقيه الذي بلغ درجة علمية دينية وسلوكية رفيعة. ويحاول الكتاب طرح تعريف الشيعي مع تأكيده صعوبة ذلك ووجود خلافات عديدة حول الموضوع. ولكنه يطرح التعريف العام الذي هو حصيلة صفات ومزايا دينية وثقافية وتاريخية وهذه يمتلكها الشيعي بالوراثة عن الاسلاف كما هو السني أو غير المسلم الذي يتبع ما كان عليه اسلافه في العادة. ولايمكن اعتبار الشيعي شيعياً بالولادة فقط وانما الشيعي من التزم بقيم واحكام شرعية اسلامية واكد اعتقاده بوحدة الخالق ونبوة محمد (ص) وإمامة الائمة من أهل البيت (ع).

من الناحية الجغرافية فالشيعة يتركزون في البلاد العربية المطلة على الخليج والغنية بالنفط. هذا الموقع الذي يعتبر الموطن الاساس للشيعة محاط بالاكثرية السنية.

الرافضة: . وهو مصطلح اطلق تاريخياً على فرقة من فرق الشيعة القديمة والمندثرة منذ القرن الثاني الهجري، لكن بعض الجهات لازالت تطلقها على الشيعة لمحاصرتهم وحرمانهم من حقوق المواطنة والمشاركة في تحمل مسؤولية البلدان التي يعيشون فيها، لذلك فان المحيط الخارجي الذي يحيط بالشيعة يلعب دوره المستمر في صنع الهوية الشيعية. من الناحية الاقتصادية فالشيعة العرب هم الاكثر فقراً والاقل تمتعاً بالتطورات الاقتصادية وان مناطقهم في الخليج والعراق ولبنان هي من أفقر المناطق وان التحديث لم يصلهم إلاّ بعد ان وصلت غيرهم قبل ذلك بسنوات. ومثل ذلك في الامور التربوية والصحية، فلازال جنوب العراق وجنوب لبنان والقرى الشيعية في البحرين من افقر المناطق وأقلها حصة من حيث العمران حتى أن البصرة في جنوب العراق لا تمتلك من المصانع الاّ ما تفرضه الظروف وما يسبب تلوثاً في الجو رغم أنها مدينة غنية بكميات

هائلة من النفط ورغم أن العديد من الشيعة يعتبرون أنفسهم من غير المذهبيين أو الطائفيين الاّ انهم يؤكدون حقيقة تمييزهم من قبل الآخرين كشيعة ومعاملتهم على هذا الاساس. وقد يلجأ البعض الى تكفير الشيعة وهو ما لوحظ في عدة حالات بعد انتفاضة شعبان/ آذار ١٩٩١ في العراق صدرت جريدة حزب البعث الحاكم في العراق، "الثورة" بمقالات يقال ان صدام هو الذي كتبها وهي تنعت شيعة العراق بنعوت وتتهمهم بتهم يعف اللسان عن ذكرها.

والشيعة لم يكونوا متحدين دائماً والاعتبارات الامنية في السنوات الاخيرة تضع قيوداً مشددة على حركتهم. وهناك امور تفرقهم كذلك منها الولاءات السياسية واختلاف المرجعيات الدينية واختلاف مواقع المرجعيات الجغرافية.

يعتقد مؤلفا الكتاب ان الوعي السياسي الشيعي بدأ في الستينات وان بدأ كوعي اسلامي وحركة اسلامية لا تختلف في اهدافها ومنهجها عن الحركة الاسلامية السنية وان دوافع الحركة الاسلامية "الشيعية" لا تختلف عن "السنية" فهي تعبر عن ردة الفعل الحقيقية عن فشل محاولات التقريب في العالم الاسلامي وفشل الانظمة العربية في تحقيق الحماية من العدوان الخارجي وخاصة العدوان الاسرائيلي الذي اغتصب فلسطين كلها واراضي عربية بعد حرب عام ١٩٦٧ غير ان التحرك السياسي الاسلامي الشيعي يضم عناصر قيادية من المؤسسة العلمانية الدينية مما يدل على الميل الى التدين لدى الشيعي كفرد وكمجموعة، ولقد عانت الحركة الاسلامية الشيعية من عنف الانظمة العربية ما لم تعانه الحركة الاسلامية السنية وخير مثال على ذلك العراق. لذلك فان الوعي السياسي الشيعي تميز بالالتزام بالاسلام وبمقاومة الظلم الذي يتعرض له المسلمون وخاصة الشيعة منهم. ولم يتوجه هذا الوعي الجديد نحو السلطة القائمة وحدها وانما هو عملية لارجاع الشباب الشيعي الذي انتمى العديد من افراده الى الاحزاب العلمانية الشيوعية والقومية والوطنية، املاً في رفع الظلم عنهم. ولهذا فالوعي الاسلامي الجديد كان موجهاً ضد ظلم السلطة من جانب وضد إغراق الشباب بالشعارات العلمانية الفارغة من جانب آخر. وفي هذا السياق جاءت كتب الشهيد السيد محمد باقر الصدر (فلسفتنا واقتصادنا) استجابة لهذا التحرك وللوضع القائم في العراق وغيره من المناطق. وحينما حلت هزيمة حزيران ١٩٦٧ وولدت فراغاً سياسياً وعقائدياً وأسفرت عن فشل الانظمة والاتجاهات الفكرية والسياسية الفاعلة في الساحة العربية، كان البديل هو الاتجاه

الاسلامي الذي طرح تطلعاته ونشطت الاحزاب الاسلامية التي تأسست في اواخر الخمسينات في ملء الفراغ وحققت نجاحات باهرة على صعيد التوعية الدينية.

الشيعة العرب في الدولة السنية

حمل الفصل الثاني عنوان "الشيعة العرب في الدولة السنية" وهو يناقش علاقة الشيعة بالدولة، وطبيعة هذه العلاقة التي يمكن تمييزها بين دول فيها أقلية عددية شيعية وأخرى الشيعة فيما هم الاكثرية العددية وفي الحالتين تكون الثقافة السياسية والاجتماعية والتفسير السني للاسلام هو الغالب ويكون فيها الشيعة مهمشين لكن بالنسبة للاقليات الشيعية فإنها تأمل في تغيير طبيعة الانظمة السائدة بحيث تتجه نحو الغاء التمايز وإعطاء الاقليات حقوقها وضمان أمنها. أما في الدول التي يكون فيها الشيعة اغلبية كما في العراق والبحرين فإنه في هذا الوضع يكون إنعدام التوازن الاجتماعي اكثر حدة في سلوك الدولة، ويكون إصرار السنة على فرض الامر الواقع مدعاة للتسبب في وضع اجتماعي وسياسي متفجر بصورة مستمرة.

لاحظ الكتاب ان الدول العربية التي يتواجد فيها الشيعة لا تتبنى سياسة طائفية رسمية، وانما جميعها تدعي الاسلام دينا للدولة، ولكنها تمارس الطائفية في سلوكها، ويكون ضحية ذلك هم الشيعة. وحتى دولة علمانية مثل العراق تدعي ان سياسة حزب البعث ضد الطائفية والتمييز مهما كان نوعه، تمارس الطائفية بصورة قوية غير معلنة تارة ومعلنة تارة اخرى ضد الشيعة. وحسب الكتاب، فغالباً ما يكون طرح شعار العلمانية غطاءً للممارسة الطائفية.

ويرى الكتاب ان المشلكة بالنسبة للشيعة لا تكمن في معاناتهم من تسلط الحكم الطائفي عليهم فقط، وانما تمتد الى ترددهم في الاعلان عن معاناتهم او المطالبة بحقوقهم كطائفة، فمثل هذا الامر يجعلهم عرضة للاتهام "بالطائفية وتدمير وحدة المجتمع والسعي الى إثارة الفتن وزعزعة استقرار الدولة. مثل هذه الاتهامات الجاهزة تسلط على الشيعة من قبل الدولة الطائفية التي تفرض سياستها الطائفية باستمرار.

وحول قضية ولاء الشيعة للدولة يناقش الكتاب وجهة النظر القائلة بان ولاء الشيعة للدولة يكاد يكون "معدوماً"، او ان ولاءهم "متعدد". وحول الولاء يناقش الكتاب وجهة النظر القائلة بأن على مواطني الدولة أن يطيعوا الحاكم دون تحفظات وهو تمثيل للنظام

الاستبدادي الذي يفكر بالولاء من الناس دون ان يفكر بتوفير السعادة والاطمئنان والاستقرار لهم.

وهذا النوع من الانظمة تبتلى به معظم الدول العربية وهو مسلط على الشعوب العربية بسنتها وشيعتها لكن الشيعة هم الاكثر تضرراً حسب وجهة نظر الكتاب. وفي هذا المجال يطرح الكتاب فكرة "العقد الاجتماعي" بين الحاكم والمحكوم والتي يتوفر فيها ولاء المحكومين للسلطة الحاكمة على ان تتولى هذه السلطة توفير العدالة بين ابناء الشعب، ومثل هذا الامر متوفر في الاسلام وهو البيعة التي هي عقد بين الحاكم والمحكوم لا يجوز ان يخل الحاكم به. ويرى الكتاب ان مثل هذا الامر (العقد الاجتماعي - أو البيعة) بالنسبة للشيعة ربما يخفف او يزيل حالة التمييز القائمة.

وفيما يتعلق بالمعارضة السياسية للشيعة العرب يذكر الكتاب تطور الحركة الوطنية والاسلامية الشيعية باعتبارها جزء من الحركة التحررية، فلم يتحرك الشيعة باطارهم المذهبي وانما كان تحركهم ضمن التيارات السياسية القائمة. ولم تكن مطالبهم مذهبية وانما مطالب يتفقون عليها مع السنة وهي مطالب عامة. غير ان التحرك الشيعي البارز هو بصفته الدينية كتحرك المرجعية الدينية في النجف او التحرك السياسي في الستينات، وهذه التحركات وان لم ترفع شعارات مذهبية الاّ ان صفتها الدينية العامة والتزام ناشطيها بالاسلام اعطاهم الصفة الشيعية اكثر من غيرهم.

وحول نشوء الحركة السياسية الشيعية يقع الكتاب في اخطاء تاريخية لا ينبغي وقوعها في كتاب يهتم بمشكلة معقدة في العالم الاسلامي.

المطالب والاستراتيجيات الشيعية

في الفصل الثالث، يناقش الكتاب "المطالب والاستراتيجيات الشيعية" ويؤكد بان الشيعة لا يختلفون عن السنة في مطالبهم، فالاسلاميون يطالبون بدولة اسلامية وهناك امور يريد الشيعة توفر حلول لها مثل الحقوق المتساوية في المواطنة، وانهاء حالة التمايز وايجاد نظام تعددي تضمن فيه حقوق الانسان وخاصة حقوق الاقليات. فالشيعة يطالبون بمساواة حقيقية بينهم وبين السنة وحماية لحريتهم في التعبير عن حقوقهم الثقافية (ومنها الدينية).

يعرض الكتاب استراتيجيات الشيعة المتدينين وغير المتدينين ويستعرض طروحات الطرفين. ويلاحظ انه من الصعب على حركة شيعية تطالب بحقوق الشيعة ان تكون بعيدة عن الدين لان الشيعة هم في النهاية مجموعة دينية تقودها شخصيات علمائية دينية. ولكن الحركات العلمانية الشيعية قد تجد في الحركات اليسارية وسيلة للمطالبة بحقوق الشيعة من خلال مطالبتها بحقوق عامة. غير ان الكتاب يصل الى الخلاصة التي مفادها ان "الشيعة كلما كانوا اكثر تعرضاً للظلم كانوا أميل الى الاسلوب الديني الذي يعتبر العنف بهم كطائفة وهوية".

وحول التكتيك الذي يمكن ان يستعمله الشيعة في التعامل مع دولهم، فإن الكاتبين يريان انه مختلف حسب اختلاف الوضع الداخلي لكل دولة عربية، وحسب الكثافة الشيعية. فالاقليات الشيعية تميل الى التفاوض في محاولة للوصول الى نوع من الانصاف، والاكثريات الشيعية التي تكون اكثر عرضة للظلم والاضطهاد لا تميل الى هذا الاسلوب بسبب استنفاذه، ولان الحكومات القائمة تخشى الخوض في الموضوع وتخشى من أي تحول يفقدها سطوتها أو بعض هذه السطوة. ويلاحظ ان الاحداث الدموية ربما كانت عاملاً في بروز القضية الشيعية، فمقاومة الشيعة في لبنان للاحتلال الاسرائيلي ومقاومة شيعة الكويت للوجود العسكري العراقي غيّرت من وضعهم في هاتين الدولتين واصبح الشيعة يتمتعون بنوع من الحقوق والمرونة السياسية لم يتوفر لهم من قبل. وقد تكون الثورة الاسلامية في ايران قد ساهمت في بروز القضية الشيعية ولا يعني هذا في التحليل الاخير ان القضية الشيعية تحتاج الى الثورة او الحرب لكي تبرز ولكن هذا واقع الحال كما يقرر الكتاب.

أفرد المؤلفان فصلاً عن علاقات الشيعة العرب بايران وهو الفصل الرابع وعنوانه (الصلة بايران)، ناقشا فيه موضوعين مهمين، الاول كون نظرة العديد من السنة عن ارتباط التشيع بأيران وهذه النظرة ولدتها المواقف الحكومية العربية والاتهامات المستمرة ضد الشيعة. ان الحقيقة تؤكد ان التشيع انتشر في القبائل العربية قبل الفتوحات الاسلامية.

والقضية الاخرى هي اتهام الشيعة بالولاء لايران، والحقيقة كما يقررها الكتاب هو ان علاقات الشيعة بايران تعتمد على المتغيرات والظروف السياسية والاجتماعية وعلى جملة من السياسات الداخلية لكل من الدول العربية وايران. وان تأثر الشيعة العرب بالظروف

المحيطة بهم يؤكد انهم يتأثرون كثيراً بوضع الشيعة في العراق وعلاقة الحكم بالشيعة.

فالارهاب والعنف والقسوة التي اتبعها صدام ضد الشيعة أثرت كثيراً. ويؤكد الكتاب ان علاقات الشيعة العرب بايران تحكمها ثلاثة عوامل:

اولها: باعتبار ايران من اهم مراكز التشيع. وثانيا باعتبارها مركزاً للايديولوجيا الاسلامية بعد انتصار الثورة الاسلامية. وثالثاً باعتبارها دولة.

وللشيعة العرب وجهات نظر متفاوتة تتراوح بين "احترام ايران الدولة الشيعية الوحيدة في العالم وتقدير حيويتها وثراء ثقافتها. كما ان بعض الشيعة العرب يفتخرون بالتصميم الذي أظهره الشعب الايراني في تحديه وهزيمته للشاه. ويظهر العديد منهم تقديراً لايران لانها وفّرت ملجأ للآلاف من المضطهدين الشيعة. ويرى البعض وجهات نظر اخرى. ولعل المهم في الامر هو نظرة الشيعة والعديد من السنة العرب الى ايران باعتبارها مركزاً للصحوة الاسلامية وانها قدمت نموذجاً في ممارسة السلطة يختلف بصورة كبيرة عما عليه أغلب الانظمة العربية. وحتى الشيعة العلمانيون الذين لا يعيرون اهتماماً بالدين ينظرون الى ايران باعتبارها دولة استطاعت ان تطرح تجربة سياسية مهمة في مجال الانتخابات وتكوين مؤسسات دستورية كالبرلمان (مجلس الشورى). ويخلص الكتاب الى ان الشيعة العرب يكافحون من اجل تمثيل كامل ومساواة في بلدانهم. ويرى الكتاب ان نظاماً غير نظام صدام في العراق يعطي الشيعة حقوقهم ويعطيهم قوة تمثيلية معقولة ربما يؤهل الشيعة العراقيين لدور مؤثر في المنطقة. ومن ناحية اخرى يرى الغرب ان علاقات ايران بالشيعة العرب يمكن ان تكون مؤشراً ايجابياً اذا تبنت ايران موقفاً معتدلاً ولعبت دوراً بناءً في المنطقة.

مؤلفان الكتاب:

١- كراهام فوللر Graham E, Fuller

كبير المحللين السياسيين في مؤسسة راند الامريكية وعمل كدبلوماسي في منطقة الشرق الاوسط لمدة ١٧ سنة وكان معنياً بالدراسات المستقبلية بعيدة المدى. من كتبه:

١- مركز الكون: الجغرافيا السياسية ٢- الجغرافيا السياسية الجديدة لتركيا: من البلقان الى غرب الصين ٣- دول آسيا الوسطى الجديدة ٤- المشكلة الكردية في تركيا ٥- الجغرافيا السياسية للاسلام والغرب.

٢- رند الرحيم فرانكي: المديرة المسؤولة عن (المؤسسة العراقية) وهي منظمة للابحاث والمعلومات، مهتمة بقضية الديمقراطية في العراق.